مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:07 العدد 01 جانفي (2023) ص 492- 502

جماليات الرمز الصوفي في ديوان"ما في الجبة غير البحر لـ فاتح علاق"

Article title: (The Aesthetics of the Sufi Symbol in the Diwan "There Is Nothing in the Jubba Other (Than the Sea" by Fateh Allaq

د، عثمان مقيرش *

جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)

athmane.meguireche@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/11/03
تاريخ القبول:
2022/12/05

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التصوف:
- ✓ الشعر
- ✓ الغموض
- ✓ الرمز الصوفي
- ✓ التجربة الصوفية
- ✓ الشعر الجزائري

الملخص

يعدّ الرمز الصوفي أهم أبرز مظاهر التنوع الموضوعاتي في الشعر العربي على الوجه الأخص فقد وجد الشعراء فيه ضالتهم ، فاستخدموه كبديل للما هو سائد، و الما هو مألوف فذو النزعة الصوفية منهم يرى الوضوح عائقا يحول بينه وبين ما يريد التعبير عنه وإيصاله للمتلقي فلجأ للإشارة لأنها أبلغ من العبارة وعبر بالباطن كناية عن الظاهر والمباشر ، فالرمز بالنسبة لهم هو الأداة الفنية والوسيلة الوحيدة للبوح عن مكنوناته الدفينة، والخروج من رتابة النظام المألوف المباشر وعالم المادة إلى عوالم الغيب الباطنية والروحية، مخترقا اللغة العامية إلى لغة خاصة أكثر تعقيدا وغموضا.

Article info

Received
03/11/2022

Abstract

The Sufi symbol is the most important manifestation of thematic diversity in Arabic poetry in particular. The poets found in it what they wanted, so they used it as an

* المؤلف المرسل

alternative to what is prevalent, and what is familiar. Sufis among them see clarity as an obstacle between him and what he wants to express and deliver to the recipient, so he resorted to the reference because it is the most informative From the phrase and through the subconscious is a metaphor for the apparent and the direct, for the symbol for them is the technical tool and the only way to reveal its hidden secrets, and to get out of the monotony of the direct familiar system and the world of matter to the worlds of the unseen, mystical and spiritual, penetrating the vernacular language into a special language that is more complex and ambiguous.

Accepted
05/12/2022
Keywords:
- ✓ *Sufism:*
- ✓ *poetry:*
- ✓ *Mystery:*
- ✓ *Sufi symbol:*
- ✓ *Sufi experience:*
- ✓ *Algerian poetry*

مقدمة

عرفت التجربة الشعرية المعاصرة تطورا كبيرا، سواء على مستوى الشكل البنائي للقصيدة أو على مستوى مضامينها . والتجربة الصوفية العربية المعاصرة كان لها دور كبير في استثمار واستكمال ما كان يسير على منوال القدامى، والخروج عن المألوف، فهي تجربة لغوية فريدة من نوعها؛ لأن اللغة تمد الدين بوصال وثيق، وهي أساس علاقة المخلوق بخالقه، وتتميز اللغة الصوفية عن اللغة العادية في أنها لغة رمزية تحمل في طياتها دلالات مختلفة عن دلالات اللغة المألوفة.

عرف الأدب الجزائري _قديمة وحديثة _ نتاجات صوفية ثرة، وذلك راجع إلى ما يحويه البلد من طرق وزوايا ومسالك صوفية جعلت من الشعر الصوفي معتقدا ومسلكا بالدرجة الأولى، فضلا عن كونه تجربة شعرية نادى بها الشاعر الصوفي الجزائري في خضم الصراعات السياسية والمذهبية التي عرفتها البلاد منذ القدم، لائذا بها ومبتعدا عن كل الفتن الدنيوية التي كان يتخبط فيها الناس آنذاك. وشهدت التجربة الشعرية الصوفية في العصر الحديث والمعاصر نضجا فنيا يحاكي التجارب الصوفية القديمة في رموزها وغموضها بل ويتجاوزها أحيانا، ومن بين هؤلاء الشعراء "فاتح علاق" في "ديوانه" ما في الجبة غير البحر" وهو موضوع الدراسة.

تأسيسا على تطفح هذه الأسئلة فارضة نفسها :

ما لتصوف؟ ما علاقة الشعر بالتصوف؟ أين تكمن خصوصية اللغة الصوفية؟ كيف تجلت التجربة الشعرية الصوفية عند الشاعر فاتح علاق؟ إذا كانت القصيدة الصوفية تمتاز بصيغة رمزية خاصة، ومعانقة اصطلاحية تنفرد بالعمق والتعمية والغلق وحتى تغليف المعاني؛ ماهي الرموز التي ضمنها الشاعر الجزائري " فاتح علاق" في نصوصه المبثوثة عبر ديوانه

"ما في الجبة غير البحر ؟ وما هو أثرها في تعدد الدلالات؟

01 _ سؤال المفهمة ما لتصوف؟

تضاربت الأقوال واختلفت الآراء حول تعريف شامل مانع للتصوف، ولمعرفة ماهيته لابد من الرجوع إلى أقوال الصوفية، وكذلك إلى أقوال أصحاب الطرق، وقد كثرت أقوالهم في حقيقة التصوف إلى ما يزيد على ألف قول.

أ_ لغة:

يقول القشيري في رسالته: " **إن هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال : رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف. وللجماعة متصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث اللغة العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر أنه كاللقب**". (1)

فالقشيري يرى أن كلمة التصوف لا يوجد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية لذلك يرجح أنها لقب وليس اسما.

بينما يذهب فريق من الباحثين في التصوف مع أول مشكلة تثار بالنسبة إلى التصوف، مشكلة اسمه، من أين اشتق، شأنه شأن علم الكلام - فالسراج يعقد فصلا بعنوان: «باب الكشف عن اسم الصوفية، ولم سموا بهذا الاسم ، ولم نسبوا إلى [هذه اللبسة". يبدأه بالسؤال عن السبب في تسمية الصوفية بهذا الاسم دون نسبتهم إلى حال ولا إلى علم معين. كما ينسب الفقهاء إلى الفقه وأصحاب الحديث إلى الحديث. ومن هذا نرى أن رأي السراج لا يخرج عن هذه المفاهيم التالية:

1. أن اسم الصوفية مشتق من الصوف، بوصفه اللبسة الغالبة على هؤلاء.

2 وأنه اسم قديم، قد وجد حتى قبل الإسلام.

3. إنهم لم ينسبوا إلى حال معينة أو علم معين لأنهم يتخلقون بكل الأخلاق الفاضلة ويتسمون بكل الأحوال الشريفة، فلا محل لتمييزهم بحال دون حال، ولا بخلق دون خلق. (2)

إن المعاني التي تكثفت حول كلمة (التصوف) بالرغم من تعددها في المعاجم اللغوية والتباين فيما بينها إلا أنها تصب في إطار واحد هو الصفاء والنقاء، أو شعر الحكمة أو هي المراتب الأولى القريبة من الذات الإلهية، كما انه مستمد من ظاهرة لباس الصوف.

ب_اصطلاحا:

ذكر معروف الكرخي وهو أحد علماء التصوف أن التصوف هو "الأخذ بالحقائق واليأس بما في أيدي الخلائق ، (3)، وفيه إشارة إلى الزهد الذي هو التخلي عما في أيدي الناس من أملاك رغبة في الله تعالى.

وقد قيل عن التصوف أنه" **فلسفة المسلمين، وهو علمهم في الأخلاق** "، وهو إضافة إلى ذلك "**التخلق بالأخلاق الإلهية، بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا** " (4). ويورد الأمير عبد القادر كذلك مفهومه للتصوف معتبرا إياه " جهاد النفس في سبيل الله ، أي لمعرفة الله ، وإدخال النفس تحت الأوامر الإلاهية والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية لا شيء آخر من غير سبيل لله " (5)

إن الدارس المتتبع لمفهوم ظاهرة التصوف لا يجده يخرج عن الجوانب الآتية: الزهد، المجاهدة، الالتزام بالشريعة، التسليم الكامل لله، الأخلاق الصفاء، الإخلاص، الارتباط الروحي بالله، ترك التكلف والشكليات.

02 - علاقة الشعر بالتصوف

مر الشعر العربي عبر مسيرته بالعديد من الظواهر الفنية التي ساهمت في إثرائه وتجديد مضامينه. ومن أهم هذه الظواهر التصوف، فكل من الشعر والتصوف حقلان متقاربان في عالم معرفي واحد هو عالم الروح المتخفي وراء عالم الوقائع، فهما يتفقان في الأسلوب؛ أي في الصورة والإيقاع واللغة، ومن هنا أردنا البحث عن العناصر المشتركة بينهما.

لقد كان بين الشعر والتصوف علاقة قديمة توجد تحقيقاتها النصية في أشعار الحلاج وابن الفارض ورابعة العدوية .... وسواهم، قبل أن تتخذ في الشعر العربي الحديث طوراً آخر جديداً من الصوغ والبناء في الممارسة والنظرية، كما عند شعراء مؤسسين من أمثال: عبد الوهاب البياتي، وصلاح عبد الصبور، وأدونيس.

وفي الشعر المعاصر، كثر الحديث عن التصوف في الشعر أو الشعر الصوفي؛ يقول الشاعر محمد السرغيني موضحا العلاقة بين الشعر والتصوف "**وجد الشعر في الصوفية مرتعاً خصباً لا أول له ولا آخر: المجازات بكثرة وذات البعد البعيد، ثم القدرة على تصوير ما هو حاضر بما يمكن أن يحضر فيما بعد، أي ما يمكن أن نسميه بـ (الاستشفاف)**" (6)، وإذا كانت الصوفية فيما مضى أعطت الشاعر الرقة فوق المادية، وجعلته يكتشف كثيراً من المعميات القديمة التي سقط فيها الذين يبحثون في الأديان ولم يستطيعوا أن يصلوا فيها إلى حد أو إلى نتيجة. فهذه مزية عظمى أفادها الشعر من التصوف القديم والحديث، من خلال اعتبار الإنسان أسمى مادة تعيش في الكون ويعيش الكون بها ، ويتحدث عبد الكريم طبال عن العلاقة بين الشاعر وبين التصوف، فيقول: أظن أني شاعر صوفي، أو أن شعري من شعر التصوف . فالقضية وما فيها، كما يقال هي أني أكتب عن ذاتي وحدها، وهي ذات امتزج فيها ما أعرف وما لا أعرف، والذي لا أعرف أكثر مما أعرف. فكل إنسان عالم كما قال ابن عربي، وكل إنسان مؤمن وإن أنكر ذلك . وحسب تصوري، فالثقافة الصوفية أو المعرفة الصوفية أفادت الشعر العربي لغة ورؤيا" (7).

ويفسر أغلب الدارسين للخطاب الصوفي أن التصوف أحد منجزات الفكر البشري التي تربطه بمختلف المعارف علاقات وطيدة؛ ويرجع عاطف جودة نقط التلاقي بين الشعر والتصوف إلى العاطفة في قوله: هناك وشائج قربى تجمع بين التصوف والفن، بشكل عام وبينه وبين الشعر بشكل خاص، هذه الوشائج تتمثل في أن كليهما يحيل إلى العاطفة والوجدان " (8)

أما علي عشري زايد فيرى أن العلاقة بينهما هي علاقة مشابهة؛ فالحالة التي تنتشل الشاعر من واقعه ليجسد ما اختمر في ذهنه من تساؤلات تشبه الحالة التي يغيب فيها الصوفي عن العالم الدنيوي: أي أنهما يتجهان في طريق واحد، وهو طريق الاتحاد بالوجود والامتزاج به . (9)

يتضح من هذا أن كلا من الشاعر والصوفي يتشابهان في الهدف والوسيلة ينصهران مع الذات في جبة واحدة، فالشعر روح" تصوفي كوني يستجلي غوامض الحياة وأسرارها الجمالية (10)، وبهذا فهو محاولة لرفع الشعر إلى أعلى درجات الصفاء، وفيها تتخلّى الكلمات عن صفته الخطابية، وتصبح طاقة متفجرة، تعبر تعبيرا غير مباشر في عالم مجهول لمعانقة المطلق.

إذن فالتصوف والشعر هاتين الثنائيتين لا تنتميان لنسقين مختلفين بل هما من نسق واحد، وكل من التجربتين: الشعرية والصوفية، تكشف عن واقع الحياة اليومية وما تمخض عنها من مشاعر في وجدان الشاعر. فكلاهما يتميز بصدق التجربة وكلاهما مرتبطان بالوجود، ويسعى كل منهما إلى الاندماج في الكون حاملا راية واحدة للتعبير مكنوناتهم النفسية والشعورية، هي راية الرمز والإيحاء والغموض، في تصوير هذه الحالات الشعورية الإنسانية.

03_ مفهوم الرمز

كيف يمكن التعبير بالواضح عن الغامض و بالبسيط عن المعقد؟

إن اللغة المتداولة بنظمها تقف عاجزة أحيانا عن ذلك، فيكون لزاما تجاوزها واختراق قوانينها بأسلوب يعرف باللغة الرمزية، **فقال ابن عطاء: " ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا على المذهب ولعزته علينا كي لا يُنشر بها وأنشد:**

إذا أهل العبادة سائلون نشيرها فتجعلها غموضا

أجبناهم بأعلام الإشارة تقصر عنه ترجمة الإشارة (11)

وبذلك تكون الصوفية لغة الإشارات والرموز والغموض ميزة فيها.

ولقد أبدع الشعراء في توظيف الرموز والتعامل معها حسب تجاربهم ومواقفهم في الحياة، وهي بدورها مكنت الشعراء وفاتح علاق من أن يظفوا على الكلمات الخام دلالات بعيدة، وهذا ما سيتضح من خلال استقراء الرموز ودلالاتها في شعر علاق.

أ- الرمز لغة:

من مادة رمز يرمز، رمزا، ويقول ابن منظور: الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، وإنما هو إشارة بالشفتين. وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة هو كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ أي شيء أشرت إليه بيد أو "بعين. (12)

وورد أيضا لفظ "رمز" في القرآن الكريم على لسان النبي زكريا عليه السلام عندما سمع نداء الملائكة تبشره بأنه سيرزق بيحيى عليهما السلام إذ قال:((**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**)) [الآية41: آل عمران]

ويتضح لنا من الآية أن الله عز وجل أمر زكريا حين طلب منه آية له، أمره بعدم الكلام مع الناس ثلاثة أيام على التوالي، بل عليه أن يتواصل معهم بالرموز والإشارات فالرمز في التعريف اللغوي مرادف للإشارة والهمس والإيحاء والإيماء من غير صوت. ب **الرمز اصطلاحا:**

لم يعرف مصطلح الرمز (symbol) قديما بهذا الاسم وإنما عرف بعدة تسميات أخرى، ولكن هند العصر العباسي تعقدت الحياة في جميع نواحيها فعرف ما يسمى "الرمز"، والرمز بصفة عامة كما قال عبد الكريم حسان هو الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم" (13)، أي بمعنى كلام داخل النفس وما يجول بها من تصورات وأخيلة ومعاني. ويبين لنا كذلك الطوسي معنى الرمز عند المتصوفة فيقول : **الرمز معنى باطن تحت كلام ظاهر به إلا أهله"** (14) وهذه التعريفات المقدمة وغيرها تشير إلى العلاقة بين الشيء وما يحيل إليه. ويمكن القول بأن الرمز وسيلة فنية تكمن قيمته في إيحائيته، يستعمله الشعراء وخاصة المعاصرين لأجل التعبير عما لا يمكن التعبير عنه كطريقة مثلى للإفصاح والإفضاء.

04_ الرمز الصوفي

استخدم الصوفية الرمز الصوفي لأن فيه دلالات تتوافق مع التجربة الصوفية، وقد وظف الصوفي الرمز لعدة أسباب نذكر منها:

- أسباب سياسية تمثلت في التغطية على السلطة الحاكمة التي كانت تلحق بهم الضرر
- أسباب مذهبية متعلقة بالتشدد المذهبي الذي فرض على الصوفية إخفاء معانيها . (15)
- رغبة الصوفي في كتم أحواله عن الناس غيرة على طريق أهل الله عز وجل، يقول **"القشيري من العلماء ألفاظا يستعملونها ، وقد انفردوا عمن سواها كما تواطؤوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين لها ، أو للوقوف إلى معانيها بإطلاقها وهم يستعملون: ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيها بأنفسهم والستر لكل طائفة .على من باينهم في طريقتهم لتكون ألفاظهم مشبهة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلهم.** (16)
- **حتى لا يشتد إنكار العامة لهم .** (16)
- حرص الصوفية على عدم اطلاع العامة على أفكارهم التي لا تتحملها عقولهم.
- تحريك إحساس المتلقي والتأثير فيه، فقد جعل الرمز الصوفي من اللغة الصوفية لغة شعرية وشاعرية، " فهذه اللغة الشعرية وسيلة استنباط واكتشاف ومن غاياتها الأولى أن تثير وتحرك وتهز الأعماق. (16)
- لهذا فقد اتخذ الصوفية لهم لغة خاصة تقوم على استعمال الرمز في كلامهم وأدبهم لان الرموز " **أقدر على التعبير عن عمق التجربة الوجودية الصوفية، لأنها عميقة لا تنتهي الدلالة فيها عند ظاهرها، فإن وقف المتلقي عند الظاهر، ولم يجعل همه في إدراك الباطن، وقف دون مقصود البحث لأن الرمز كلام يعطي ظاهره مالم يقصده قائله"** (17)

يفهم من هذا أن اللغة الصوفية تحتاج إلى عملية قراءة استبطانية لسبر أغوارها.

05- الرموز الصوفية في ديوان " مافي الجبة إلا البحر" لفاتح علاق:

من بين الرموز الصـــوفية التي وظفها فاتح علاق في ديوانه ما" في الجبة إلا البحر" رمز الحب، المرأة، الخمرة .. قبل أن نتطرق إلى الرموز الموظفة من لدن الشاعر بين ثنايا الديوان نقف وقفة عند أول عتبة نصانية وهي العنوان.

أ- رمزية العنوان

العنوان هو الإشـارة الأولى التي يرسـلها المبدع / الشـاعر إلى المتلقي/ المرسـل إليه، **"ويظل مع الشـاعر أو الكاتب طالما هو مشغول بعمله الأولي كما يفكر الوالدان في تسمية طفلهما، إذ هو جنين لم يظهر للوجود بعد فهو بالنسبة للمبدع اسم علم يعرف به هذا المولود الجديد ويعبر عنه شـاعره نحوه غير أنه ما يلبث أن يسـتقر ويثبت في عقل المبدع طالما ينتهي من قصيدته أو قصته أو روايته** " (18). وبهذا يعد العنوان اختزالا للعمل الإبداعي، ولا يمكن اقتحام البنية العميقة للنص إلا عبر هذه البوابة المفتاح.

ينم عنوان ديوان شـاعرنا فاتح علاق عن الدهشـة والاسـتغراق والتعمق في فهم النصـوص الشـعرية التي بعده، فالعنوان "ما" في الجبة غير البحر" يوغل بنا بعيدا في النص الصـوفي الأول مع صـاحبه الحسـين بن منصـور الحلاج، الذي يعد أول من نادى بمذهب الحلول في الصـــوفية، وحين ســـئل عن نفســـه قال : **" ما في الجبة إلا الله** ، فهو يتناص معه، ويتقاطع وإياه في المعنى وفي اللفظ وفي الرؤيا تماثلا وتشـــاكلا؛ وبعبارة أخرى" ما في الجبة إلا البحر" تمثل رؤيا غنوصـــية عرفانية استقاها الشاعر من أناه متحدا مع البحر و متماهيا فيه، فصار الاثنان واحدا .

وكان الحلاج سـباقا إلى مثل هذه الرؤية والرؤيا في نفس الوقت، لذلك تتضح لنا جليا صـوفية الشـاعر التي لا غبار عليها، حيث إن نظرة واحدة للديوان تنبئ بإشـعاعات الصـوفية، وقراءة واحدة للعنوان تجلي الكشـوفات العرفانية ، ومن خلال صورة الغلاف يتبدى لنا طلب النجدة في اليد الظاهرة على سطح البحر، بينما الجثة لا ترى، وكأنه أراد أن يقول بهذا التصوير: لقد غرقت في تجليات الصوفية أو التصوف، وأصبحت خاليا من كل عون ومدد سوى الله، لذلك أخرج يده دون سائر جسده، فباليد يتمسك بالعروة التي أرادها هو، وهي عروة الله الوثقى التي يحتمي ويعتصم بها.

أما عن "البحر" فهو الدنيا في تلاطم أمواجه والتي قد تعبر عن أردان المادة والآثام عند الذكر، والتماهي مع الذات، أو ربما الذات المقدسة التي قصدها فاتح علاق، وهذه نظرة أخرى يحيلنا إليها الشاعر، أما عند ولوجنا إلى الديوان نجده يزخر بما ذهبنا إليه من خاصة صوفية، تظهر بصماتها للعيان من خلال الرموز الموظفة في قصائد الديوان.

ب_رمز الحب

هو مذهب الصوفية الأول، بل هو الطريق الأوحد الموصل إلى المحبوب والظفر به، والتمتع بقربه ورضاه، بل هو الوصول إلى الخلود، **"لذا رأت الصـــوفية أن انفتاح الذات على موضـــوعها الذي هو الحقيقة أو ألله لا يتم اعتمادا على العقل أو النقل، وإنما على الحب، مما بوأ القلب مكانة خاصة في المعرفة الصوفية وجعل العقل حجابا** ". (19)

كما يقول عمر بن الفارض:

وعن مذهبي في الحب مالي مذهب وإن ملت يوما عنه فارقت مذهبي

وإذا ما تصفحنا قصائد الديوان نجدها تعج بهذا اللفظ "الرمز"، إذ ورد بعدة مترادفات أو أسماء منها : الحب الوله الهيمان العشق الغرام، التعلق، وغيرها.

يقول فاتح علاق في مطلع قصيدته ما في الجبة إلا البحر" بقوله:

ليس في البحر من أحد

غير جبته وهواه

غير نظرته الهائمة
في سماء الإله
مررت بقربه لم يرني
لم يعانق همومي
فعدت إلى شاطئ نائم
أرتب دقات قلبي وأجمع صوت الرمال. (20)

افتتح علاق قصيدته بالنفي في شكل تساؤل حيران، مجيبا عنه مباشرة "غير الجبة والهوى"، وكل من اللفظين منطلق من منطلقات الصوفية، يقصد بها من هوى هوى ومن هوى طوى، ومن طوى انكوى، وهو حال المحبين أهل الهوى، لذلك فالجبة أو الخرقة تنم عن ابتعاد وقرب؛ ابتعاد عن ملذات الدنيا الفانية، وقرب من الله ومن الحياة الباقية، وهذا ديدن الصوفية.

ويقول في موضع آخر:

شوقي أنت
أنت ندائي
أنت اللسان
وأنت الكلام
من أين أبدأ هذي القصيدة
والنهر في وفي الغمام؟
ليس في الأرض غيري
خانني القلب حينا
فخنت الحقيقة
وخنت القصيدة
فكيف أبرر حبي لهذا الوطن (20)

إن حب الشاعر ،متعدد، فتارة يحب البحر ويتحد معه، وتارة يحب الوطن ويمتزج به، لذلك تجده مهتاج العاطفة، يفيض بحبه على من حوله، سواء كان بحرا أم برا، وتلك هي روح الصوفي الوثابة والطوافة دائما في عالم الملكوت، فلا تكاد تستقر على حال حتى تعرف الحقيقة وتتوحد بها.

ج- رمز المرأة:

ركز المتصوفة والأدباء منهم خاصة على توظيف المرأة رمزا للحقيقة والتجلي للذات، لذلك جادت أشعارهم وفق هذه النظرة **واستعمل الأدب خاصة المرأة رمزا موحيا دالا على الحب الإلاهي، ويعد الشعر الصوفي من هذه الوجهة شعرا غزليا، يجمع فيه المتصوفة بين الحب الإلاهي والحب الإنساني، معبرين عن العشق في طابقه الروحي من خلال أساليب غزلية موروثة . تم تشكيلها الفني ورؤيتها منذ أواخر القرن الثالث للهجري** (21). وقد وظف شاعرنا أيضا هذا الرمز الموحي (المرأة) للتماهي ورؤياه الصوفية العرفانية موزعا إياه في ثنايا الديوان بعدة أسماء موحية منها : سوسنة سوسة نجمة، فلة، ضحكة شفة، الحلم... إلى غير ذلك من الرموز التي تحيل على الأنثى والتي لاغنى لكل من القلب والشعر عنها فهي رمز العطاء والنماء... حتى عند اليونانيين والإغريق وغيرهم.

يقول فاتح علاق:

سوسة هذا الغمام

وللقلب هذا الغرام

يزرعني من طريقي إليها

نجوما تراقص أحلامها

فتضيء مفاتنها في الظلام

وما فارق القلب سوسة

لكنها تتمشى أمامي

فهذا الهدير وهذا الهديل

يعلقني فوقها قمرا

من عطور الشام. (20)

بالرغم من أن الشاعر يتكلم عن مدينة سوسة التونسية، لكنه تمثلها امرأة هام بها فملكت قلبه وأسرت لبه. ويقول في موضع آخر:

أينما التفت القلب أبصرها في انتظاري

فأركض من خلفها ولها

لأشد ضفائرها

ولكنها تسبق القلب والعين

إن حاولا الطيران إليها

وتوغل في خطرات النهار

هي الحلم أو ما يشبه الحلم

تظهر حينا وتخفى

فيزداد شوقي إليها

ولكنها تستبد إذا ما رأتني

أجر ذيول انكساري (20)

إنه الذهول والتورط في الأنثى المرأة، ليكنى بها على الذات الحقيقة، الخصب، الحب، الطهر... إنها شبيهة بالحلم أو هي الحلم بحد ذاته، إنه التوغل في الآخر والاتحاد بالجوهر

د- رمز الحلاج

وهو شيخ المتصوفة وشاعرهم الأول الذي تبنى مذهب الحلول، يقول فاتح علاق في قصيدة الحلاج على الصليب

أنا حي هنا في القفر

لي سمع ولي بصر

فما صلبوا سوى صوتي

وما قتلوا سوى ليلي

لهذا عشت وانتحروا

أنا حي أضيء الليل من جرحي

فيزدهر

وهذا النهر يشهد لي

وهذي الطير والشجر

فما صلبوا سوى كفي

وما قتلوا سوى خوفي

لهذا قمت واندحروا. (20)

إنه التوهج في أسمى حلله ومعانيه، فالشاعر اندلق فانفلق في سيل شعري ثر، يفيض من منابع يستقي منها أنهار المتصوفة حيث لا شيء سوى الحياة، الاستمرار، التوهج ، الخلود، بل الوصول إلى نهاية المطاف، إذ لا يزال ذكر الحلاج وشعره حيان، ولا يزال توهجه في سماء التصوف والشعر ساطعا، ولم يخسر إلا الآخر، لأن النور لا يمحى بمسبحة الظلام

يقول فاتح علاق:

أنا حي

وهذا الليل منهزم

وهذا الصبح منتصر

فما صلبوا سوى همي

وما قتلوا سوى غمي

لهذا عشت واندثروا

أنا في الكون أغنية

دمي غدها

وشوقي النار تستعر (20)

هـ- رموز أخرى

إن اللغة الصوفية في ديوان علاق حبلى بالرموز من بينها أيضا : رمز" الشبلي" في قوله:

قال الشبلي

لا تلق الخرقة يا مولاي

ما زال القلب لم ينفطم (20)

ورمز" ذي النون المصري" و" الجنيد وغيرهم يقول الشاعر:

قال الجنيد:

أسوارك أسرارك

أشواقك أنوارك (20)

أراد الشاعر من خلال هذه الأبيات شحن نفحاته الروحية والروحانية من نسمات الأوائل من أهل الرؤى والبصيرة، ليفيض هو الآخر على من سواه بنفحاته الروحية ونسماته الشعرية الرائقة.

ختاما لما سبق نجمل ما توصلنا إليه في النقاط الآتية:

- يعد الشعر الصوفي منفذا يعبر به الشعراء الصوفيون عن مقاماتهم وأحوالهم وأذواقهم.

- وجود علاقة تماثل وتشابك بين التصوف والشعر العربي المعاصر.
- إن القصائد في ديوان " ما في الجبة إلا البحر" لفاتح علاق تفضي إلى تجربة شعرية صوفية متميزة في الأدب الجزائري.
- وظف فاتح علاق رمز المرأة بامتياز في الحقل الصوفي مستخدما إياه وسيلة للتعبير عن محبته الإلهية، ولا غرو أن لغته الشعرية تطفح بالغرابة والغموض.
- اتكأ الشاعر في توظيفه للرموز على أعلام المتصوفة كالحلاج، الشبلي، ذي النون، الجنيد وغيرهم.

وفي الأخير نهيب بالدارسين إلى الاعتناء بهذا النوع من الأدب وتفعيل حركية التعامل مع النص الصوفي الجزائري بالمناهج النقدية المعاصرة

قائمة المصادر المراجع

1. **عبد الحليم, محمود** .*الرسالة القشيرية في علم التصوف* .بيروت : دار الكتاب العربي.126 .p .1981 ,
2. **عبد الحليم, محمود و عبد الباقي, طه** .*اللمع لأبي نصر السراج الطوسي* .مصر : دار الكتب الحديثة بمصر.41-40 .pp .1960 ,
3. **أمين, يوسف عودة** .*تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية*، .الأردن : دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع.12 .p .
4. **عبد المنعم, الحنفي** .*معجم مصطلحات الصوفية* .بيروت : دار المسيرة.2 .p .1987 ,
5. **القادر, الامير عبد** .*المواقف*.1 .Vol .141 .p .1935 .
6. **محمد, سر غيني** .شعراء يوظفون التصوف وهم أقل الناس تصوفا [.2022 09 11 :Citation] [En ligne] . https://www.alquds.co.uk .
7. **الوراري عبد اللطيف.** شعرنة التصوف وتصويف الشعر: كيف يمارس الشعراء تجربة التصوف في قصائدهم؟ [متصل] [تاريخ الاقتباس: 13 02, 2019.] www.alquds.co.uk.
8. **عاطف, جودة نصر** .*الرمز الشعري عند الصوفية* .الاسكندرية : دار الاندلس .53 .p .1983 ,ط.1
9. **سعيد, بوسقطة** .*الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر* .الجزائر : دار بونة للبحوث.137 .p .2008 ,
10. **عبد الحميد, هيمة** .*الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر* .الجزائر : دار هومه.80 .p .2005 ,
11. **عبد المنعم, الحنفي** .*الموسوعة الصوفية* : .s.l .مكتبة مدبولي.21 .p .2003 ,
12. **منظور, ابن** .*لسان العرب* .بيروت : دار التراث العربي .Vol .57 .p .1968 ,جزء. 1
13. **عبد الحكيم, حسام** .*التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري* .دت.87 .p .
14. **أبو نصر, سراج الطوسي** .*اللمع في التصوف* [.trad] .محمود عبد الباقي سرور عبد الحليم .مصر : دار الكتب الحديثة .p .1960 , 4.
15. **عبد الحميد, هيمة** .*الخطاب الصوفي*.146 .p .
16. **خليل, منصور** .*ابو القاسم ,عبد الكريم بن هوزان القشري ;الرسالة القشيرية* .بيروت : دار الكتب العلمية.53 .p .2005 ,
17. **رضوان, الصادق الوهاب** .*الخطاب الشعري الصوفّ والتاول* .الرباط : منشورات زاوية .195 .p .2007 ,ط.1
18. **عثمان, مقيرش** .*الخطاب الشعري في ديوان قالت الوردة للشاعر عثمان لوصيف* .المسيلة : المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع، .27 .p .2011 ,ط.1
19. **خالد, بلقاسم** .*أدونيس والخطاب الصوفي* .الدار البيضاء : دار توبقا للنشر والتوزيع.73 .p .2002 ,
20. **فاتح, علاق** .*ما في الجبة غير البحر* .الجزائر : دار التنوير.70 .p .2017 ,
21. **ابراهيم, بسيوني** .*نشأة التصوف الإسلامي* .مصر : دار المعارف.88 .p .1969 ,
43. **بلقاسم, خالد** .*أدونيس والخطاب الصوفي* .الدار البيضاء : دار توبقال للنشر والتوزيع.73 .p .2002 ,

44.**مقيرش ,عثمان** .*الخطاب الشعري في ديوان قال تالوردة للشاعر عثمان لوصيف* .المسيلة : المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع.27 .p .2011 ,

45.**القشيري ,سعيد** .*الرسالة القشيرية* .بيروت : دار الجيل .Vol .95 .p .2000 ,ط.2

46.**علاق ,فاتح** .*مافي الجبة غير البحر* .الجزائر.18 .p .2017 .,s.n :